مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 8 / العـدد: 01 (2020)، ص ..- ..

خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية:
عولمة الإسلام،أم أسلمة العولمة؟

الطاهر دحماني
[1] المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة tahardahmani@gmail.com

تاريخ الاستلام: ../../2021 تاريخ القبول: ../../2021 تاريخ النشر: ../../2021

ملخص:

في البدء،تأسست العولمة لأغراض اقتصادية بحتة. والسيطرة على إقتصادات ومقدرات المستضعفين. وإحكام قبضتها على مفاصل الأسواق العالمية، والبنوك والهيئات والمنظمات السياسية والثقافية الدولية... وبسط هيمنتها على ثقافات الشعوب ودياناتهم وحضاراتهم،في عصر القرية الكونية. وفي الوقت الراهن،برزت تحدياتها العابرة للحدود،كخطر لافت،يهدد أمن المقومات الدينية والهوياتية للمجتمعات المعاصرة.لا سيما القيم الأخلاقية والدينية السائدة في العالم العربي والإسلامي. وفي هذا البحث،نقدم قراءة متأنية في واقع وآفاق صراع خطر العولمة على الإسلام وأهله وحضارته...فلمن ترجح كفة هذا الصراع في نهاية المطاف:للعولمة الرأسمالية(عولمة الإسلام)،أم للإسلام الحنيف(أسلمة العولمة)؟

Résumé/

Au début, la mondialisation a été établie a des fins purement économiques ,contrôlant les économies et les capacités des entités vulnérables , resserrant son emprise sur les marchés mondiaux, les banques, les organismes et les organisations politiques culturelles et internationales, et étendant son hégémonie sur les cultures et les religions des peuples et civilisations, a l'ère du village globale. Et à l'heure actuelle, ses défis transnationaux sont apparus comme un danger frappant menaçant la sécurité des composantes religieuses et identitaires des sociétés contemporaines, en particulier

les valeurs éthiques et religieuses qui prévalent dans le monde arabe et islamique. Et dans cette recherche, nous avons présenté une lecture attentive de la réalité et des perspectives du conflit du danger de la mondialisation contre l'islam, ses adeptes et sa civilisation. Pour qui ce conflit va t-il finalement basculer, pour la mondialisation capitaliste (Mondialisation de l islam), ou pour le véritable islam (L islamisation de la mondialisation) ?

Summary :

In the bigninig,globalization was estabilished for purely economic purposes, controlling the economies and capacities of vulnerable entities tightening its grip on world markets,banks,political,cultural and international agencies and organizations,and extending its hegemony. on the cultures and religions of peoples and civilizations ,in the era of the cosmic village. And at present ,its transnational challenges have emerged ,as a striking danger threatening the security of the religious and idendity components of contemporary societies ,in particular the ethical and religious values that prevail in the Arab and Islamic world. And in this research we have presented a careful reading of the reality and perspectives of the conflict of the danger of globalization against Islam, its followers and its civilizations. For whom will this conflict ultimately tip over, for capitalist globalization (Globalization of Isam) , or true Islam(Islamization of globalization) ?

خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية:
عولمة الإسلام،أم أسلمة العولمة؟

كلمات مفتاحية:
(العولمة الدينية- الأمركة- عالمية الإسلام - الإسلاموفوبيا- صراع الحضارات- حوار الديانات- التعايش السلمي- العيش المشترك في سلام مع الآخر)

مقدمة :

ملأت العولمة الدنيا، وشغلت الناس،منذ ثمانينيات القرن الماضي.باعتمادها على التطور المذهل الحاصل في عالم تكنولوجيات الإعلام والاتصال التي أنتجت شبكة الإنترنت العابرة للحدود والثقافات. وأفرزت عصر السماوات المفتوحة،دون رقيب ولا حسيب. وهي في جوهرها تستهدف أمركة العالم،بأوسع المعاني، وأعمق المفاهيم-اقتصاديا وثقافيا وحضاريا وعقديا-بالإضافة إلى سعيها الجاد لفرض مشروع المجتمعات المعولمة في المعمورة.بما فيها العمل على قولبة المعتقدات والشعائر الدينية.سواء تم ذلك بالضغط والترهيب.أو باللين والترغيب،أو بأي وسيلة فكرية ناعمة...فما هي خلفيات العولمة الدينية؟وما هي أخطارها العملية على الأديان عموما، وعلى الدين الإسلامي خصوصا؟وهل نحن أمام صدام حضارات وثقافات وديانات..أم هو صدام أيديولوجيات، وصراع مصالح ومكاسب؟ ولمن ترجح كفة صراع الإسلام والعولمة في نهاية المطاف: لعولمة الإسلام،أم أسلمة العولمة؟

تلكم هي أهم التساؤلات المفصلية التي نحاول مناقشتها في هذه السانحة..انطلاقا من تكييف مصطلح (العولمة الدينية)،بوصفها تعكس تكريس العودة المقنعة للاستعمار القديم، ولكن في ثياب جديدة.. وهو المعنى المرادف تماما للأمركة الدينية. وقد صكه بعض المفكرين الغربيين،فأقاموا الدنيا بشأنه، ولم يقعدوها بعد. وتركوا سجال الدارسين يشتد حوله،بين مساندين مادحين لمناقبه وإيجابياته،من جهة.. ومعارضين قادحين لمثالبه وسلبياته،من جهة مقابلة. وصنف ثالث توفيقي،حائر،متردد،يقف في منتصف الطريق،بين مد الإقدام، وجزر الإحجام.لا يدري الدارس لها أين يصنف تموقع أتباعه، ولا أين يتخندقون بالضبط،في سياق تجاذبات تياراتهم المتضاربة؟

فإذا كانت العولمة تعني إزالة الحواجز الجغرافية، وتقريب المسافات بين الشعوب. لتعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل العالم بأسره.بعد أن أضحت الكرة الأرضية أشبه بالقرية

الكونية،حسب تعبير المفكر الكندي. Marchall Macluhan/ (وريك موراي،2011 ص44) فهل يمكن لكبار منظري وساسة الغرب –عمليا-أن يفلحوا في التنميط الديني للبشرية، وقولبة معتقداتها، وصبها في قالب ديني واحد معولم ؟

في منظور العولمة يعد الإنسان كائنا منتجا ومستهلكا،ينبغي قطع صلته بالله. وتحليلا لهذا المعني،يجزم بعض المفكرين أن العولمة،لن تهزم الإسلام:« فالعولمة في أجل صورها اليوم تعني (تغريب العالم)،أو بعبارة أخرى(أمركة العالم). وهي تسمية مهذبة للاستعمار الجديد.الذي ترك لبوسه وأساليبه القديمة.ليباشر عهدا جديدا من الهيمنة،تحت مظلة هذا العنوان اللطيف(العولمة). والتي تعني ببساطة فرض هيمنتها الثقافية على العالم. وأي دولة تروم التمرد أو النشوز.تؤدب بالحصار، أو بالتهديد العسكري،أو الضرب المباشر.كما حصل مع دول أفغانستان والعراق والسودان وإيران وليبيا.إنها تعني فرض ثقافتها العقدية القائمة على الفلسفة المادية البراغماتية. وتبرير الحرية إلى حد الإباحية. وإشاعة كل ما يخالف تعاليم وقيم الإسلام، ويخالف الأديان كلها... >> (يوسف القرضاوي ،2000 ص16)

لا شك أن موقف هذا المفكر الإسلامي،يلخص لنا منظور الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين. ويبين مدى خطورة العولمة على القيم الأخلاقية. ومحاولتها قطع صلة البشر بالسماء. والتنكر للوحي الأعلى. والتنصل من رسالات الأنبياء. وإستدراج البشر للإنغماس في أتون المنافع المادية. وإشباع فحيح الغرائز. وإباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج. وتشجيع المثلية الجنسية(زواج الرجل بالرجل، وزواج المرأة بالمرأة). وهو ما ينذر بحتمية هدم الأسرة. وتقويض أساسات الإيمان. وتهديد الأمن الأخلاقي. ونسف قلاع الأمن الديني للأفراد والشعوب. ولا يوجد ما هو أخطر من المساس بحصون العقائد الدينية للمتدينين.فهي التي تعتبر صمام أمان الأمن الهوياتي للبشر. والتعدي عليها خط أحمر فاصل.لا يسمح بتجاوزه تحت أي ذريعة أو قناع.غير أن العولمة الغربية،ما فتئت تمارس عدوانها السافر على كل ما يمت بصلة لرسالات الأديان.ليتسنى لها التمكين لعولمة الدعر والعهر. وتعميم العربدة الأخلاقية... وبذلك تتهيأ لها الأجواء للسيطرة على المستضعفين في أرجاء القرية الكونية. وهي تستغل تفوقها العلمي والتكنولوجي والإعلامي والنووي والمالي. لتركيع ما يسميه المفكر/ مالك بن نبي:(محور طنجة–جاكرتا).حيث تقوم العولمة بمحاربة الإسلام، وإضعاف طاقاته، وضربه في مقتل.فالفرق كبير، والبون شاسع بين خطاب العولمة الذي

في ظاهره رحمة حرية العقيدة. وفي باطن ممارساتها،يعربد العذاب والشوك والحنظل لعموم المؤمنين.عبر محاربتها للفضائل، وتشجيعها للرذائل.

فهي ترمي بكل ثقلها المادي والأدبي لتكون عقيدة بديلة للعالمين. وتصبح العقيدة الغالبة. وتجاهر بفرض منطق اللهث وراء بريق الربح المادي.ةاللهث خلف المال. وحياة الرفاه، وإطلاق العنان لإشباع فحيح الغرائز، والثورة على تقاليد الأسرة والزواج الشرعي...حتى أضحت بعض النخب المتغربة في عالمنا العربي والإسلامي،تروج لهذا الطرح العولمي المعادي للإسلام. وبدأت تتعالى صيحات التمرد على القيم الدينية تحت مسميات براقة وماكرة،مثل حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية العهر والدعر. وهي تتهافت علنا للنيل من قيم المجتمعات الإسلامية.بما يثبت للخصوم والأنصار أن العولمة،لا دين لها سوى عبادة المال...لا سيما بعد تحكم الأمريكان في مفاصل إدارة موازين القوة لـ(الميمات الثلاث القاهرة)، وهي.[Money+Média+Marketing]:

وغاية العولمة حمل المجتمع الدولي على إعتناق دين واحد، وواحد فقط، يتلخص في اللهث وراء عالم المال والأعمال والبورنوغرافيا. وهي تبذل النفيس والرخيس ليبتعد المؤمنون على أديانهم، ويتخلوا على قيم يسوع المسيح. ويتنكبوا هدى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وينسوا كل ما يقربهم من الله تعالى... وتنصب إهتماماتهم على عبادة الاورو والدولار ومشتقاتهما فقط. وبالتالي،فالدين الأوحد للعولمة،هو إشباعها الجزء الأسفل للإنسان. وإخلاده للأرض. وإعلانه القطيعة التامة مع عالم القيم الخلقية والدينية. وهل يوجد عدوان أشد خطرا وفتكا على الإنسان،كالعدوان على تجريده من هويته الدينية التي تدعو إلى التآخي والتعاون والتآلف بين الناس.لكن دين العولمة-إذا كان لها دين أصلا-هو اللادين. وهو في تصورنا جاهلية جديدة في هذا العصر. ودعوة للإفلاس القيمي للبشرية. والزج بها في أسر السعار المادي، وأتون الغرائز، وكل ما يبعدها عن السعادة والتوازن. ويبعدها عن الإيمان الصادق بالله، والإستقامة على شرائعه، والإلتزام بشعائره.

وما دامت ترمي تحديدا إلى سلخ الشعوب عن قيمها الدينية الأصيلة، وتجريدها من مقوماتها الخلقية.بتعميم نمط إباحة العري، والترخيص بإنشاء نوادي وشواطىء للعراة. وعولمة ممارسة

الجنس بيسر وسهولة بين الرجال والنساء،دون قيد أو شرط. وإباحة كافة أشكال الشذوذ واللواط والسحاق، والإجهاض، وقتل الأجنة في البطون. وإقرار ذلك رسميا في المنظومة القانونية لبعض برلمانات الدول الغربية... وتلك هي خلاصة ما ينضوي عليه مضمون ثقافة العولمة الدينية العابرة للحدود، والمخترقة للقارات والثقافات والديانات... وهي التي تدفع المجتمعات الإسلامية إليها دفعا خفيا وجليا للإرتماء في أحضانها، والرضوخ والإذعان لأنماطها كأمر واقع.

رغم تعارضها مع القيم الدينية التي تعتبر التعولم منكرا وردة وكفرا بواحا...لكن ثقافة التطبيع الديني الذي تريد العولمة فرضه على مجتمعاتنا. والمتمثل في محو آثار التدين في نفوس الأفراد والمجتمعات. وتضييق الخناق على مظاهر التعبد الصحيح. ومحاربة المتدينين الجادين، ومحاصرتهم إعلاميا. والتشهير بكثرة أخطائهم، وتشويههم، والحط من شأنهم...لمنع تأثيرهم في الناس. وذلك تحت دعاوى حرية الرأي، وحرية الفكر والتعبير...حيث يتم التطاول على الأنبياء، وسب الأديان...كالإساءة المجانية بالرسوم الكاريكاتيرية المتكررة للرسول الكريم،عليه الصلاة والسلام.

والتي نشرتها عدة مجلات وصحف أوروبية في السنوات الأخيرة... وما أكثر الحملات الإعلامية المدروسة من حيث التوقيت والهدف،في معاداة الإسلام والمسلمين،بدعم لوبيات صهيو أمريكية لتدنيس مقدسات المسلمين، وقيمهم،مع سبق الإصرار والترصد .

إن مقاومة المسلمين للغزو العولمي الذي يطال الرموز الدينية،يقتضي الإعتصام بركائز الإيمان. والتشبث بحبل الله، وحسن التمسك بالقيم الثقافية والأخلاقية...حتى لا يظل المسلمون لقمة سهلة المنال لتجار وسماسرة العولمة الدينية التي تمتد في فراغاهم. وتتلاعب بعقولهم، وتعبث بتدينهم.

فالغرب عموما،لا يخشى الشباب المائع المتهتك أخلاقيا، ولا يعير وزنا للفتيات المتحررات...لكنه لن يغمض له جفن، ولن يرتاح له بال كلما إنتشرت أنوار الصحوة الدينية، وأقبل الناس على دخول الإسلام أفواجا. ولن يفرمل زحف العولمة الدينية ويرد عدوانها،سوى المتمسكين بدينهم، والغيورين على سلامة حصون أمنهم العقدي.الذي يعد قضية موت أو حياة... ويبدو أن طغيان العولمة، وتطاولها على الأديان،لن يقف الند للند في فرملة خطره العالمي، سوى الإسلام الذي ساهم في قطع دابر الشيوعية. وهو اليوم مرشح لتقليم أظافر العولمة الرأسمالية المتوحشة. ولا

يتركه يحطم المنظومة الروحية للمسلمين. وما أكثرها مؤشرات تأكيد مستقبل هذا الدين القادر على إستنهاض همم المستضعفين، وإنقاذهم من التنميط القيمي للعولمة،مثلما يطرحه المفكر العربي/ عبد الوهاب المسيري. [1938-2008] (معازيز بوبكر، 2017 ص)184.الذي يبرز قدسية وطهارة القيم الإسلامية، مقارنة مع تعفن العولمة وملحقاتها..فالإسلام منقذ حقيقي للعالم من فخ التنميط العولمي القيمي للمجتمعات المعاصرة.لأنه لا يهزم الروح والعقل. ومقاربته لمقاومة إستراتيجيات عولمة الإسلام، وتشويهه، والإساءة إلى رموزه. ومحاولات إقصائه إجتماعيا وإقتصاديا وسياسيا...تؤهله بجدارة وإقتدار لمقاومة خطر العولمة الدينية .

إن المرأة المسلمة هي مدرسة المدارس في تربية النشء على القيم الرفيعة. وهي أهم محضن لإيقاد شعلة الإيمان، وغرس حب الله في النفوس والعقول، وإعداد رجال الغد ونسائه. ولذلك،لم تسلم من طوفان التيارات الغربية التي تخطط لإفسادها. فما دامت قادرة على تحريك سرير طفلها بيد، وهز العالم بيد أخرى... فالعولمة تتفنن في إستغلال قساوة واقع المرأة العربية المسلمة، وتسويقه إعلاميا لضرب الإسلام.

وتتذرع بما تعانيه من ظلم وسلب لأبسط حقوقها وحرياتها بإسم أحكام الدين.من قبل بعض المتدينين المزيفين في مجتمعاتنا الشرقية الذكورية.التي تعاني ويلات التقاليد الجائرة، والعادات الجاهلية الموغلة في التشدد والتطرف، وغيرها من المظالم التي لا سند لها من دين أو مروءة...قد إتخذها بعض الغربيين والمتغربين ذريعة لنصب مشانق المحاكمات الجائرة للإسلام. والإجهاز على المسلمين. وشن هجمات تلو أخرى لتحرير المرأة المسلمة بإستدراجها للسفور والعري والتفسخ والتخلي عن زيها الشرعي. ودعوتها لركوب موجات الموضة، وتصاميم الأزياء، والمكياج، وتصفيف الشعر...لتصبح دمية جميلة يعبث بها العابثون.

ولا أدل على إذلال العولمة للمرأة المعاصرة،من حجة رعاية الغرب لمسابقات ملكات الجمال العالمية. وهي أصلا فكرة صهيونية ماسونية،يتم تمويلها بواسطة الشركات العالمية الكبرى. وإنتقلت عدواها إلى مجتمعاتنا العربية الإسلامية التي تتهافت على تنظيم هكذا مسابقات مشبوهة..تأسيا بما يحدث في الغرب. وفي السياق ذاته،تقول عالمة النفس»: Vancia Sygar/الرسالة التي تحملها

تلك المهرجانات الكبيرة التي تنفق عليها أموال طائلة، وتحظى بتغطيات إعلامية نوعية ومكثفة،تؤثر مادتها سلبيا على عقول ونفوس عديد النساء العاديات من ربات البيوت والعاملات. وخصوصا من لا تستطعن مواكبة الجميلات من ناحية الشكل أو الحجم. فيدخلن في صراع مع برامج تخسيس الوزن،لأن منظمي تلك المسابقات تنصب على النساء الرشيقات النحيلات، وإبرازهن كنموذج للمرأة العصرية.مما يدفع غيرهن للكآبة والإنهيارات النفسية والعصبية،لعدم قدرتهن على مسايرة أولئك النجمات اللاتي تظهرن للعيان، وكأنهن نزلن من كوكب آخر...>>
(يوسف القرضاوي ص64)

وتلك أعظم إهانة لكرامة المرأة وانوثتها. وقمة الإستهتار والسلبية والدونية، وكل ما يحط من شأن المرأة العفيفة الطاهرة. وما تصنعه العولمة بالمرأة، يمثل حقيقتها الحالقة للقيم الرفيعة.فهيصناعة مغشوشة يريد أصحابها تذويب نسائنا في محاليل مشروعها. وقولبتهن في أنماطها،لترتد المخدوعات منهن عن الدين الحنيف. ويقطعن الصلة بموروثهن الأصيل. ويدمن تقليد ما تعرضه عليهم العولمة كالببغاوات.

ويتبعن خططها وخطواتها. وينخرطن في تقفي مساراتها شبرا بشبر، وذراعا بذراع. يرى الغرب أن الإسلام هو«الخطر الأخضر»، وهو البديل عن الخطر الشيوعي الأحمر.مما دفع البروفيسور الأمريكيEsposito John/لإصدار كتابه «الخطر الإسلامي:خرافة أم حقيقة؟» يرى فيه أن بروز خرافة«الخطر الإسلامي»هي ضد مصالح الغرب في العالم الإسلامي. ويبين الفرق بين التطرف والإرهاب،من ناحية. وبين الأحزاب والمنظمات الإسلامية التي تشتغل سياسيا للوصول إلى السلطة سلميا وديمقراطيا. وقد دافع عن تسامح الإسلام. وتساءل:هل يكون إنحياز الغرب ضد المسلمين، ولصالح إسرائيل قدرا يجب أن يرضى به الجميع؟ وبما أن المسلمين يشكلون أغلبية حوالي 56 بلدا،تمتد من قارة إفريقيا إلى جنوب شرقي آسيا.

ووجودهم تتزايد ديموغرافيا في أوروبا وأمريكا والإتحاد السوفياتي السابق...فهم قوة لا يستهان بها سياسيا، وحضاريا وسكانيا.مما يتطلب إعادة نظر جدية في نظريات وطروحات تصادم الغربيين معه. والعولمة تعمل بصراحة لخدمة مصالح الصهيونية العالمية. وتدعيم الديانة اليهودية، ودويلة الكيان الصهيوني. وتخدم المشاريع الصهيو أمريكية جهارا نهارا... وكل من يقف ضد إسرائيل،في فلسفتها،فهو ضد المسيحية، وضد الديمقراطية حقوق الإنسان.(بن إبراهيم 2017) ولن ينفعنا

سوى التخندق مع أحرار العالم وشرفائه من المستضعفين،لتعزيز تشبثنا بهويتنا الدينية، وفرض تميزنا الثقافي والحضاري، وحقنا في الإختلاف، وعدم طأطأة الرؤوس للتماهي والذوبان في عولمته الدينية الحالقة لمقوماتنا. وكل مسلم يبتغي العزة في هرطقات العولمة،يذله الله حتما. واللائق به اليوم،أن ينتفع بإيجابيات العولمة. ويخضعها للنقد والمساءلة. ويأخذ خير ما فيها ماديا ومعنويا. ويتحصن بموروثه القيمي والأخلاقي الأصيل.

ويراهن على كسب قوة العلم والتكنولوجيا، وتحرير طاقاته الثرية الكامنة والمعطلة. ويجعل مصيره بين يديه،معتمدا على خبرات عقول وزنود أبنائه.فالإسلام آخر الرسالات، وهو دين البشرية كلها. ولبعض لغربيين عقدة تاريخية معه.فهم يكرهونه ويحقدون على أهله...فالواجب الحضاري يدعونا للتقارب، والتعارف والتحاور بالحسنى لتحقيق السلم والأمن، وتفعيل خيارات التعايش السلمي، وقيم العيش المشترك. وإشاعة المحبة والتعاون في ربوع حاضر وغد هذه القرية الكونية. وتحقيق حلم العولمة العادلة.الذي يبقى إنشغالا مشروعا ومؤجلا..بالنظر إلى غياب العرب والمسلمين عن قائمة نادي كبار مالكي السلاح النووي.فالإيمان تحميه القوة النووية بداهة..بشرط إستخدامها لأغراض سلمية. وهل تتغير أوضاع المجتمعات العربية والإسلامية، وهي بعيدة بالمسافات الضوئية عن محاريب العلم والإيمان...؟

يذكر أحد المفكرين العرب المعاصرين:«أن العولمة الدينية،تهدف لإفساد المجتمع الإنساني، وتفريغه من القيم الأصيلة. وتجريده من الأخلاق الحميدة النابعة من الأديان السماوية، والفطرة الإنسانية النقية الصافية.حتى لا تقوم له قائمة الرجولة والشهامة والكرامة،أمام طوفان مخططات التدميرية للعولمة الرأسمالية الأمريكية ،اليهودية الجشعة. وتهدف إلى تنصير أو علمنة المسلمين بغية إلغاء حضارة الأمة الإسلامية. وطي شرائع الإسلام.عملا بعبارة رئيس الوزراء البريطاني السابق/ اللورد جلاديستون التي مفادها:ما دام هذا القرآن موجودا،فلن يستطيع الغرب إحكام سيطرته على الشرق أبدا.»(مرهف حسين،2003 ص 36و37) إن العولمة الأمريكية والغربية عموما،تعمل جاهدة على تعميم الخلفية العقدية العلمانية المبنية على المادة. وإقامة قطيعة معرفية تامة مع الموروث المعرفي الأخلاقي والديني للمستضعفين. وتتمثل عولمة القيم الدينية أساسا

في مخطط ذوبان الحضارات الشرقية في النموذج الحضاري الغربي.بداية من السيطرة على العقول والحقول. وإستباحة الأرض والعرض... والترويج لفصل الدين عن الدولة. ومحاربة تمظهرات التدين السليم في التخاطب والتهندم والمواقف وسائر الأحوال التي تضعف فيها حبال ركائز الإيمان بالله ورسوله والقضاء والقدر واليوم الآخر،بشكل أو بآخر.

إن العولمة هي آخر بدائل الإستدمار لصرف المسلم عن دينه. ومن خلالها يتسلل الغربيون اليوم لشن غاراتهم الحاقدة على الإسلام الجريح. والعدوان السافر على الإرث الحضاري للمسلمين الذاهلين.. وهي تستتر تحت شعارات كذابة، وعناوين خداعة،لكسر شوكة الإسلام الأعزل في المجتمع الدولي الراهن...فهي بذلك تريد أن تفسد على المسلمين دينهم ودنياهم معا...فأين هو دور دول وعلماء وساسة العرب والمسلمين في التصدي لهذه العواصف التي تدمر قلب الأمة، وتقص أجنحتها، وتقلم أظافرها؟ والنزعة العولمية التي تضيق ذرعا بالدين. وتجاهر بموت الإله. وقطع الصلة بالسماء. ولا تؤمن بالوثوق في الروحانيات...تقتضي هبة عقلية،تساهم في نهضة المسلمين. وإحداث القطيعة مع الدروشة، وتجاوز العقل الأصولي المتحجر. والإنفتاح الثقافي الإيجابي على العقلانية الغربية، والعولمة المعتدلة، وتفعيل الحوار المتمدن مع الآخر وتفادي الإنغلاق على الذات... والإنخراط في أي مسعى نوعي وجاد لتغيير الأوضاع المتردية. والتوقان للتحرر من رواسب التخلف المادي والأدبي. وتلك هي مهمة فلاسفة الأمة، وواجب علمائها وساستها. وصياغة مشروع رسملة المقاربات الفكرية الواعدة في سياق تعارف الحضارات. وتعايش الشعوب. وحوار الديانات. والعيش المشترك معا في سلام ووئام...بعيدا عن الصدام والصراع والحروب الساخنة والباردة.دون أن نغفل مساءلة واقعنا المتأزم. وإنتقاد سلبياتنا. ومناصرة قيمنا الحضارية والدينية. والدفاع على حقنا في التمايز والإختلاف مع العولمة الرأسمالية. والإستبسال في الذود على مقومات أمننا الديني حتى لا نقع في فخ تنميطها وتدجينها لمجتمعاتنا. وإستخلاف المسلمين في الأرض، وعمرانها،يكون بالعودة إلى الله، وليس بالتسليم للعولمة وما شاكلها.

علما أن الله قد تعهد بحفظ هذا الدين الذي لا يمكن مغالبته من أي قوة. وما أكثر الشواهد القوية التي تثبت إنتشار الإسلام في العالم. وإعتناق الغربيين له. وهو ما يضعف حجة المراهنين على عولمة الإسلام... وفي الوقت نفسه،يعضد طرح المنادين بقدرة الإسلام على دك حصون العولمة. وتحقيق السعادة المنشودة للإنسانية في التحرر والإستقرار والتنمية. وإقناع الغرب عمليا أن

الإسلام ليس دين عنف وإرهاب. وليس دينا كهنوتيا، يكرس الوساطة البابوية، ويبيح صكوك الغفران. وليس دينا قمعيا،يصادر الإرادة الحرة لأتباعه، ويجعلهم دراويش متبتلين،منعزلين عن الحياة والأحياء في أقبية ودور العبادة.

إن تيارات العولمة الليبيرالية، والجدلية المادية،تواصل ضغوطهاعلى المجتمعات الإسلامية،عبر الوسائط التكنولوجية الذكية. وتقف وراء حملات الطعن والتشويه لسير الصحابة والفاتحين والفقهاء وأمهات المؤمنين. والتحامل على سمعة الرموز التاريخية والحضارية وتأويل آيات الأحكام تأويلا يخدم أجنداتها ونزواتها. وإشتطوا في الكذب على كبار الصحابة كأبي هريرة. وتسفيه كبار الأئمة كالبخاري وغيره طمعا في دفن السنة الصحيحة، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. ومناصرة من يسمونهم (القرآنيون).الذين يجاهرون بتعطيل العمل بالسنة النبوية. والتأويل الفاسد لنصوص القرأن الكريم، وإخراجها من سياقها.

مسك الختام: ماذا تريد العولمة من الإسلام؟ وماذا يريد الإسلام من العولمة؟ تلك هي عصارة التساؤل المحوري في صميم هذه الإشكالية الخلافية... وبعيدا عن التضليل والخداع المؤدلج الذي تعج به صفحات الجرائد والمجلات والكتب والمواقع الإإلكترونية. نخلص على ضوء ما سبق بسطه،إلى أن العولمة تطرح نفسها في المستقبل كخيمة يستظل تحتها البشر طوعا أو كرها.. ونظرا للإنهيار المحتمل لمزاعم أصحابها.فما الذي يتوجب على المسلمين فعله للعيش المشترك مع الغرب تحت خيمتها، والإستفادة من فرصها المتاحة. والتفكير في مكاسب المستقبل. وعدم تهويل خسائر الحاضر...حتى لا يعيش المسلمون غرباء،على هامش الحضارة الإنسانية؟(عزت، 2000 ص123،128)

قد أتى الإسلام للبشرية كلها.فهو للناس كافة...لكن القوى المهيمنة على نشر ثقافة العولمة الدينية. وتكريسها كعقيدة بديلة للأديان،بالقوة وسلطان المال والتجارة والضغط السياسي والديبلوماسي...فهي موصولة بأبعاد ثقافية وسياسية ودينية صهيونية يهودية مسيحة...تتداخل فيها المصالح والمنافع المادية والأدبية. وبالتالي،فالصراع مرشح للإستمرار بشراسة مستقبلا،بين الإسلام والعولمة. وهما حاليا وجها لوجه في عدة جبهات أكاديمية وسياياسية وإعلامية. وهذا

الإسلام المؤهل لإسعاد القرية الكونية. والذي تكفل الله بحفظه،مثلما سبق له إلحاق شر هزيمة بالشيوعية وغيرها من الأنظمة الوضعية..فهو لا محالة قادر في المستقبل على تطويع العولمة، وترويضها، ودحرها طال الزمن أو قصر.

الهوامش:

/1وريك موراي،جغرافية العولمة،ترجمة:سعيد منتاق،عالم المعرفة، الكويت،ط1،2011،ص:44.

/2يوسف القرضاوي،المسلمون والعولمة،دار النشر بورسعيد،مصر،ط1،2000،ص:16.

/3أنظر مثلا: تداعيات رسوم مجلة (شارلي إيبدو) الفرنسية التي نشرت 12 صورة مسيئة لرسول الله، في سنة 2006. فتسببت في ردود فعل غير مسبوقة من المسلمين. وأدت إلى وقوع عشرات الضحايا. وعمقت ظاهرة الإسلاموفوبيا لدى الغربيين.

/4نقلا عن مقال:د.معازيز بوبكر،بعنوان:(المؤديات التراثية في فكر عبد الوهاب المسيري، الصادر في كتاب قراءة للتراث والهوية في زمن العولمة،جامعة خميس مليانة،2017،ص:184.

/5نقلا عن: يوسف القرضاوي،المسلمون والعولمة،م،س،ذ،ص:64.

/6أنظر: مقال د. محمد بن إبراهيم الشيباني،تحت عنوان(الخطر الأخضر)،الصادر في جريدة القبس الإلكتروني، الكويت،بتاريخ: 25 يناير 2017.

/7محمد مرهف حسين أسد،العولمة/رؤية إسلامية،دار وحي القلم،دمشق،سوريا،الطبعة الأولى،2003،ص:36. و 37.

8/ لمزيد من التفصيل،أنظر:عزت السيد أحمد،إنهيار مزاعم العولمة،إتحاد الكتاب العرب،دمشق، سوريا،الطبعة الأولى،2000،ص:123،128.